

إحياء علوم الدين

جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله من أفضل العبادات . وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط . وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب .

وبينا أبو شريح يمشى إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي ف قيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقترب أجلي .

وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف .

وقال ابن عباس التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه . ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم .

وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة .

وقال إسحاق بن خلف كان داود الطائي C تعالى على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وطن أنه لم فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك .

وقال الجنيد اشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذ طوبى لمن رزقه .

وقال الشافعي C تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر .

وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم .

وقال أيضا الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكرة .

والثانية العفة وقوامها في الشهوة .

والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس .

فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

بيان حقيقة الفكر وثمرته .

أعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة .

ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وإراد أن يعرف أن الآخرة أولى

بالإيثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من

الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادا

على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة .

والطريق الثاني أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى .

فيحصل له من هاتين المعرفتتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ولا يمكن تحقق

المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين .

فإحضار المعرفتتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا

واعتبارا وتذكرا ونظرا